استغرغهُ هذا الرجل العظيم من المجهود في سبيل مبتغاه اخذهُ العجب العجاب من شدَّة حزمهِ وقوَّة ارادتهِ وجعلهُ في مصفّ مشاهير الرجال الذين بلغوا بذكائهم الى الاكتشافات الجليلة كشمبوليون وغيرهِ بيد ان اشغال المعلّم البلجكيّ بقيت محصورةً في فناء دارهِ ولذلك لم ينل صاحبها من الشهرة ما نالهُ عالِمُ العاديات المصريَّة

٢

هذا ولم يجتزِ كلينَرد بان اكتشف حروف الهجاء واطَّلع على مبادئ اللغة وصنَّف معجم الفاظها بل اخذ يسعى في أن يجد لهُ معلّماً يزيل مشاكلهُ ويرشدهُ الى معرفة كلّ اصول العربيَّة وغوامضها. فسمع احد تلامذتهِ يقول ان كُلّيَّة مدينة سلمنكا من اعمال اسبانية تدرّس هذه اللغة. فلم يقرّ قرارٌ لكلينرد حتى استعفى عن منصبهِ في كلية لوفان ورحل الى اسبانية سنة ١٥٣١

فدخل سلمنكا ناشدًا ضالَّتهُ. لكنهُ عرف بعد البحث انَّ العربيَّة لم تُعلَّم في كلّيَّة هذه المدينة وانَّما يوجد في البلدة رجل اسمهُ نونيوس يعرف هذه اللغة. فاسرع الاستاذ البلجكي الى بيتهِ وعلم منهُ انهُ كان اخذ العربية عن فخَّارٍ عربي الاصل من اشبيلية لكنهُ منذ امد مديد هجر درسها. ثم اشار الى زائرهِ ان يعرض عن عزمهِ لما في العربية من المبهمات والمصاعب. غير ان كلينرد لم يرضَ بقولهِ ولم يلحّ على نونيوس حتى اقنعهُ بان يتولى تدريسهُ. فاجَّلهُ نونيوس الى اليوم التالي ليُعدَّ كتبهُ ودفاترهُ

فلمَّا كان صباح يوم الغد بكَّر كلينرد استاذَهُ الجديد وسمع منهُ اوَّل امثولة عربيَّة حضرها بما لا يمكن وصفهُ من الرغبة (التتمَّة للعدد التالي)

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

وفي ذات يوم بينما كان جوسلين يدور حول الاسوار متفقّدًا هجم عليهِ واحد من الخفر كان ساهرًا في قمة برج متنحٍ وطعنهُ بخنجرهِ طعنةً شديدة ولولا الدرع القويَّة

التي كان يلبسها تحت ثوبهِ لاختطف روحهُ غير مأسوف عليهِ . ولمَّا سُئل الجندي عن السبب اعترف بانهُ رجل فداوي(١ ارسلهُ امير مصياد لينتقم من جوسلين على المعاملات السيئة التي اتزلها هذا الاخير بالاب يوحنَّا الرجل البار

ثم انَّ الجندي قال لجوسلين: انك تستطيع ان تقتلني ولكن ينبغي ان تعلم ان وراني رجالًا يأخذون بثأري فانَّ عشرة من رفقائي قد اقسموا بكل محرَّجة ان يحملوا رأسك الى قصر مصياد . واعلم اني لست آسفًا الَّا على شيء واحدٍ اعني عجز ذراعي عن اغماد الخنجر في صدرك . على اني اذا كنت لم أُصب في مهمَّتي توفيقًا فلا بدَّ ان يأتي غيري فينجح في ما قصَّرتْ عنهُ يدي

وكان جوسلين يعرف بطش الاسماعيليَّة وسطوتهم ويدري انهم اهل افعالٍ اكثر مما هم اهلُ كلام . فاشتدَّ خوفهُ على نفسهِ حتى كانت تعرض لهُ من جرَّاء ذلك عوارض من الغضب اشبه بعوارض الجنون تحملهُ على إصدار أوامر متناقضة ادَّت الى ذهاب الصبر من صدور الذين استمرُّوا حتى هذا الوقت أُمناء لهُ . فكرهوه كل الكره واصبحوا ولا همَّ لتلك الزمرة التي جمعتها جامعة الاثم والجريمة في قصر القليعة الَّا البحث عن وسائل الفرار والنجاة من هذا الطاغية

وشعر جوسلين بذلك فجزع واضطرب ورأى ان لا واسطة تردُّهم عن الانتقاض عليهِ الَّا الذهب فبذلهُ لهم وافرًا . ولا ريب انهُ لم يأتِ بهِ من دير حصن سليمان لان السلَّابين الذين اغراهم بنهب الدير المذكور وحريقهِ لم يجدوا فيهِ غير كنوز ادبيَّة فما اكترثوا بها . وعلى كل حال لو ان صاحب القليعة ملك خزائن قارون لما ابقى عليها زمانًا طويلًا لانهُ كما عرفتَ كان رجلًا مسرفًا خليعًا

١٥

وفي ذات مساء حضر الى القصر رجل بالي الثياب وسأل ان يبيت فيهِ ليلتهُ فانزلوهُ في احد الاقبية . ولمَّا طلع الصباح صرَّح بانهُ آتٍ من بشرّاي وان لديهِ امورًا ذات بال يريد ان يطلع صاحب القليعة عليها . فما كاد يعرف بهِ جوسلين حتى استدعاهُ اليهِ في الحال وطالت المواجهة بينهما كثيرًا ولم يُعرف بالتحقيق شيء من امرها . ولكن الرجل الغريب اخذ من بعدها يتردَّد على القصر بدالَّة وحريَّة وكان اذا وافى تُفتح لهُ

(١ راجع المجلَّة الاسيويَّة

الابواب بمجرّد اشارة خفيفة ويُنزّل الجسر الثقّال لاجل مروره لانهُ كان يعرف الكلمة السريّة التي لا يدري بها غير الحفر . وحاصل القول انهُ في قليل من الزمان اغتنم صداقة جوسلين وكل امياله حتى كان يظهر من امر هذا الاخير انّهُ لا يستطيع ان يستغني عنهُ

على انّ إقبال صاحب القصر على الغريب لم ينفخ فيهِ روح الكبرياء بل كان دائماً يؤانس الكل ويلاطفهم محافظاً على حالة الابتذال التي كانت لهُ يوم وصولهِ الى القليعة ولم يكن احد يعرف بالتأكيد هويّة الرجل المذكور لانهُ كان اذا سُئل عن اصلهِ امتنع عن الجواب او أجاب بما لا يُستفاد منهُ شيء . واما جنود الحامية فكانوا يدعونهُ باليهودي نظرًا لذؤابتين من الشعر كانتا تنوسانِ دائماً حول صدغيهِ ثم نظرًا لانفهِ الكبير الذي هو من مميّزات الجيل اليهودي . وكان كسائر الاسرائيليين بني جنسهِ عارفاً بطرق المكاسب خبيرًا باستجرار الارباح يعضدهُ على ذلك ضمير واسع لا يعرض لهُ ادنى ارتباك في انتخاب الوسائل المؤدية الى المغانم . وكان من زمان مديد قد رأى من جوسلين قريحةً تناسبهُ فوعد نفسهُ بان يحتال عليها حتى لا يفوتهُ شيء من دسمها

وكان اليهودي نثنائيل كما لقّبهُ الجنود قد صرّح من اول مواجهة لصاحب قصر القليعة بانهُ آتٍ يعرض عليهِ خدماتهِ وانهُ عرف بارتباكهِ في شؤونهِ الماليّة فجاءهُ بالوسائل الكافلة بخروجهِ من الضيق

اما جوسلين فاخذهُ العجب من كرمهِ لاسيما وان الغريب احضر اليهِ في بادئ الامر من غير تردُّد كل ما يحتاج اليهِ من المبالغ الطائلة لراتب الحامية وقدّم لهُ ايضاً هدايا كثيرة لكي يستعطف بها صداقة الرؤساء الذين في جواره او يكتسب على الاقل حيادتهم . على ان كلّ ما تظاهر بهِ من النزاهة لم يكن مصدرهُ القلب لانهُ كان كلما اعطاهُ مبلغاً من المال لا يذهل عن تقييدهِ في دفتر معهُ

وفي ذات يوم بينما كان جوسلين يطالب منهُ دفعةً خلع نثنائيل ثوب الاحترام الذي قد طالما حفَّ بهِ صاحب القليعة وافهمهُ بان قد حان الوقت لعمل الحساب . وفي الوقت نفسهِ اخرج من جيبهِ دفترًا وسخاً ودفعهُ الى جوسلين الذي اخذ يطالع بتمعُّن قائمة المبالغ التي استقرضها والى جانبها قيمة الفوائد الفاحشة التي ارتأى اليهودي إضافتها فوقف مبهوتاً وصرخ قائلاً :

لم يجرِ الكلام بيننا على شيء من هذا

— وهل ظننتَ انني اتسبَّب لنفسي بالخراب وضياع المال لاجل منفعتك ؟ وهل ذهلتَ اسناري العديدة الى بشراي وجبيل حتى أُطلعك على ما هناك من الحوادث ؟ واذا كنتَ لم تؤخذ على حين غفلة فذلك بفضل ما نقلتُهُ اليك من المعلومات التي توصلتُ اليها في الغالب بتعريض حياتي لاعظم الاخطار وانت تعلم ان اللبنانيين يعاملون اهل ديني بالقسوة . . . . !

— اذا كنتُ قد ارتكبتُ غلطاً فاعظم غلطي هو وثوقي بك . اما اليوم فقد تقطَّع كل ما بيننا من العلائق ومن الآن فصاعداً كفَّ عن أداء خدماتك اليَّ . واما ما ذكرتَ من اسفارك لاجل منفعتي فهذا هو الكذب بعينه لانك ما نقلت قدماً الَّا لاجل صوالحك الخصوصية . اما المعلومات التي ذكرتها فكنتُ في غنًى عنها لاني اعرف الامير رزق الله حق معرفة وأعلم ان السيف سيقضي اخيراً بيني وبينهُ . . .

ورأى نقولا ان الحديث زاغ عن النقطة التي يرومها فعاد الى نغمته الاحترامية قائلاً :

الحقَّ أقول لحضرتك انهُ لم يخطر على بالي قط مخالفتك وازعاجك . . . ولكن اسألك ان تأذن لي بكلمة أقولها ايضاً . هل نسيت المذاكرات التي كلَّفتني باجرائها باسمك مع متاولة بلاد بعلبك ولبنان تحريضاً لهم على مهاجمة الامير رزق الله ؟ ولم تزل بيدي الرسائل التي سلَّمتها اليَّ لأُطلعهم عليها وهي مهورة بخاتمك وتوقيعك وكلها محفوظة عندي بمزيد الحرص في مدينة طرابلس . ولا يخفاك اني لو اردت ضرراً بك لدفعتها الى المقدم رزق الله الذي يتخذها حجَّةً عليك قوية . غير اني لا اظن ان الاحوال توصلنا الى هذا الحد . فقط ارجو من سيدي ان يتذكر دائماً انهُ لولا خدماتي النافعة لكان ملقىً اليوم في حبس بشرَّاي

وكان جوسلين ضابطاً حدَّتهُ حتى ذاك الوقت غير ان هذه الكلمات الاخيرة اسخطتهُ جداً فقال :

ولكنك لست غير مُرابٍ مسكين . والظاهر انك تنسى انك في قبضتي وتحت حوزتي واستطيع ان آمر بتعذيبك حتى تذوق جزاء تهوُّرك . واعلم ان عندي من الوسائل ما يقطع لسانك قطعاً اذا هممَ بكلمة خارجة عن حدود الرصانة

— لا أجهل ذلك. بل أعلم انك ايضاً تستطيع ان تحتزّ رأسي او بالحري رأس المرابي كما تشاء ان تدعوني. ولكني اعلم من جهة ثانية انّ هـذا التصرّف لا يملأ صناديقك فضةً وان بعض رجالك الناقمين عليك لا يلبث ان يحمل رأسك اماً الى امير مصياد واما الى المقدّم رزق الله استغفاراً عن معصيته. وفي هذه الليلة نفسها بينما كنتُ أدور على الاسوار سمعت حديثاً بين الخفر اطلعني على أمور كثيرة اخصُّها انهم صاروا يكرهون الاقامة في القليعة. واذا جاء امير بشرّاي لمهاجمتك فالافضل لك ان لا تتكل الّا على نفسك. واظن ايضاً ان الفداوي الذي اوشك ان يفتـك بك تلك المرّة لهُ أصحاب غيرهُ ايضاً من بني جلدته ناوون عليك نيّة خبيثة

على ان هذه الكلمات الاخيرة نبّهت جوسلين الى قطاعة مركزه وبدّدت عن عقله ما كان عليه من الغرور وكسرت حدّتهُ في الحال فلطّف نغمتـهُ وبدلاً من التطرسة والكبرياء انقلب يتوسّل الى اليهودي بعد ان كان يتهدّدهُ ثم قال:

لا اقوى على ان أسدّد دفعـةً واحدة هذه المبالغ الكبيرة مع ما يلحقها من الفائدة الفاحشة

— اني اعلم هذا ايضاً ولذلك لا اطلب منك فضةً. فقط اريد منك شيئاً زهيداً وهو ان تضع توقيعك على هذه الورقة

قال المرابي هذا الكلام وقدّم ورقة لجوسلين وكانت تتضمّن تخليهُ بصورة شرعيّة عن كل الاراضي التي كانت تخصّ قبلاً دير حصن سليمان

فوقّع جوسلين على أسفل الصك بخاتمه وهو يعد نفسهُ في سرّه بانهُ سيسترجعهُ يوماً ما من اليهودي او يعمل على ابطاله بطريقة أخرى. وكان يظن انّ التوقيع لا يقيده بشيء كما انّهُ لم يتقيّد قبلاً بشيء مما حلفهُ من الأقسام. ولا يخفى انّ احد السياسيين كان يقول قبـلاً: « انّ النطق أعطي للانسان حتى يكتم افكارهُ » اماً جوسلين فزاد عليه راغباً في ان تقوم لهُ الكتابة ايضاً بهذه الخدمة التي ترضيه

اماً اليهودي فلما فاز بمرامه انحنى أمام جوسلين قائلاً: ان الحساب الجيد هو من دلائل الصداقة المخلصة وعليه فاني برغبة عظيمة اشتهي مواصلة الخدم التي قمت بها حتى الان وتأييداً لذلك ها انا ذاهب في هذا المساء نفسهِ الى طرابلس (١ لآتي بما يلزم من المال

١) من اليهود المقيمين في طرابلس راجع البلاذري (ص ٢٦٧)

لدفع المتأخر من رواتب الحامية . وفي املي ايضاً اني أتمكّن من الاطلاع على حركات المقدم رزق الله

ثم انهُ حنى رأسهُ احتراماً وسافر . اما جوسلين فلثما خلا الى نفسهِ فهم انهُ ارتكب غلطاً جسيماً بسماحهِ لليهودي في الذهاب . وكان المذكور قد بعد عن القلعة ولم يعد في الوسع ادراكهُ

١٦

وكانت الهاجرة قد قربت فاشتدَّت حرارة الشمس وارسلت أشعتها المحرقة على تلك الصخور الرماديَّة التي فوقها انتصب قصر القلعة وكان جوسلين قد خلع لأمَّتهُ ليجلس على الطعام فوافاهُ العيَّن اي الرقيب المكلَّف برصد الحوادث من قمة برج القلعة وأعلمهُ انهُ شاهد خيَّالاً مقبلاً على فرس صغير اسود اللون وهو يرتقي بخلوٍ بال في الشِعب المؤدي الى الجسر النقَّال ويظهر من هيأة ملابسهِ انهُ لبناني ولكنهُ قصير القامة مشوَّه الخلقة والبادي من حالهِ يدلُّ على انهُ أعزلُ لا يحمل سلاحاً . فامرهُ جوسلين باتزال الجسر وإدخال الرجل المجهول

على ان الخيال ما كاد يترجَّل في فناء القصر حتى صرَّح بانهُ آتٍ من قِبل الامير رزق الله وطلب في الحال مواجهة صاحب القلعة فدخل الحرس واعلموا جوسلين برغبتهِ فبادر اليهِ خلافاً لعاداتهِ السابقة لان الاحوال كانت قد حالت والازمنة قد تغيَّرت وما عاد يمكنهُ ان يتوعَّد الزائرين الذين يزعجونهُ باطلاق كلابهِ عليهم لتنهشهم . ولم يكتفِ بذلك بل نزل ايضاً الى فناء القصر لمقابلة الخيَّال المجهول الذي طلب مخاطبتهُ في شؤون هامَّة مستعجلة

ولا حاجة الى ان نبيّن للقارئ من هو هذا الرجل المجهول لانهُ علم من سياق الحديث انهُ مالك حاجب رزق الله في بشراي ومُرسَلهُ الى جوسلين . فلما اجتمع بصاحب القلعة صرَّح لهُ بالقابهِ ووظائفهِ عند مقدَّم بشراي ثم دفع اليهِ ورقة على وجهها خاتم الامير رزق الله وشعارهُ فتناولها جوسلين وبعد ان أجال النظر فيها ظهرت على محياه ابتسامة ما كان امرَّها ثم التفت الى الجنود المحيطين بهِ وقال بتهكُّم :

ان امير بشراي مولانا وسيدنا المرهوب ما زال يفتكر بنا وقد أراد ان يولينا شرفاً وسيماً فدعانا الى مواجهتهِ في محل إقامتهِ ببلبتان

ثم التفت الى مالك خاصّةً وقال: تقول لهُ اننا سنلبّي هذه الدعوة في اليوم والساعة اللذين نختارهما نحن. هذا هو الجواب الذي تستطيع ان تردّهُ لمن ارسلك الينا

(ستأتي البقيّة)

نبذة تاريخية في الايقونة العجائبية

الواقع عيدها في ٢٧ ت٢

لاحد اساتذة مدرسة عين طورا الكبرى

رغب الينا بعض المستفيدين ان نلخّص لهم خبر الايقونة العجائبيّة الواقع تذكارها في ٢٧ من الشهر الجاري فكتبنا هذه العجالة اجابةً الى سؤلهم

شاءت البتول الطاهرة في العُشر الثالث من القرن المتصرم ان تعطي للعالم المسيحي عربونًا جديدًا عن محبّتها الوالديّة فانتخبت لذلك راهبة مبتدئة من جمعيّة اخوات المحبة لتتحف بواسطتها الجنس البشري بايقونتها العجائبيّة. وهذه الراهبة هي كاترين لابوره (Laboure). ولدت سنة ١٨٠٦ في قرية اسمها فان لي موتيه (Fain-les-Moutiers) في ٣ من شهر ايار وتوفيت في باريس في ٣١ ك ١ سنة ١٨٧٦ برائحة القداسة بعد ان قضت نحوًا من ٤٦ سنة في جمعيّة راهبات المحبة. ففي سنة ١٨٣٠ كانت الاخت كاترين المذكورة في دير الابتداء المختص براهبات المحبة في باريس(١. وفي احدى الليالي بينما كانت راقدة مع رفيقاتها في النام العمومي سمعت صوتًا يناديها باسمها ثلاثًا فتاقت ونظرت بالقرب من فراشها صبيًا لا يتجاوز الرابعة او الخامسة من عمره لابسًا ثوبًا ابيض ووجههُ يلمع كالشمس. فاضطربت بادئ الامر لكنها فكرت وعلمت انّهُ رسول سماوي. فقال لها: « تعالي الى الكنيسة ان العذراء مريم تنتظرك ». فخافت كاترين ان يدري بها احد. فاجابها: « لا تخافي ان الساعة ١١٧ ليلًا والجميع راقدون وانا ارافقك فهلمّي مسرعةً دون خوف »

قامت لساعتها وتبعت قائدها الغريب وكانت أنوار ساطعة تنبعث منهُ الى كل

---

١) في الشارع المعروف بدي باك نمرة ١٤٠ (Rue du Bac, 140)